

أهمية الدّعاء في مواجهة الإبتلاءات



الإنسان يمكنه أن يتحدّث إلى الله سبحانه عمّا يريد من دون مقدّمات، وهذا ما أشار إليه الإمام عليّ (ع) في وصيّته للإمام الحسن (ع): «أعلم أنّ الذي بيده خزائن ملكوت الدنيا والآخرة قد أذن لدعائك، وتكفّل لإجابتك، وأمرّك أن تسأله فيعطيك، وتسترحمه ليرحمك، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه، ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه، ثم جعل في يدك مفاتيح خزائنه بما أذن فيه من مسألته، فمتى شئت استفتحت بالدّعاء...».

فالدّعاء هو منحة الله لعباده فتحه لهم، وهو من رغبتهم به عندما قال: (وَإِذَا سَأَلْتَهُ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذْأَدْعَانِ فَلَا يَسْتَجِيبُوا لِي وَلَئِن سَأَلْتَهُ مِن شَيْءٍ لَّيَسِّرْهُ لَكَ وَمَن لَّيْسَ بِكَ شَاقِقًا فَجَنِّبْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الشَّاقِقِينَ)...

والله سبحانه لا يمكن أن يخذل عبده إن توجّه إليه بقلبه وعقله وكلّ كيانه.

وقد أشارت الأحاديث الكثيرة إلى أهمية الدّعاء، ومدى تأثيره في مواجهة الابتلاءات التي يتعرض لها

الإنسان، فقد ورد: «عليكم بالدعاء، فإنَّ الدعاءِ، والطلبُ إلى الله يردُّ البلاءَ وقد قدَّرَ وقضى ولم يبق إلا إمضاؤه، فإذا دعي الله عزَّ وجلَّ وسئل، صرف البلاءَ صرفةً».

وفي حديث آخر: «الدُّعاءُ يدفع البلاءَ النَّازل وما لم ينزل».

وفي الحديث: «ادفعوا أمواج البلاء عنكم بالدُّعاء قبل ورود البلاء».

وقد ورد في الحديث: «من فرغ باب الله سبحانه فتح له».

وفي الحديث: «ما فتح الله عزَّ وجلَّ على أحدٍ باب مسألة فخرن عنه باب الإجابة».

ولتأكيد هذه الحقيقة، أشار الله سبحانه إلى أممٍ وأفرادٍ ردَّ الله عنهم البلاء، عندما تضرَّعوا إليه وتذلَّلوا له، فهو حدثنا عن قوم يونس (ع)، أنَّهُ بعدما تركهم نبيُّهم ليأسه من هداهم، وتوعَّدهم بأنَّ العقاب سيصيبهم كما أصاب أقواماً سابقين، عادوا إلى رشدهم، فخرجوا إلى الله سبحانه يتضرَّعون إليه كباراً وصغاراً، حتى يردَّ عنهم العذاب، فلمَّا رأى الله منهم صدق النيَّة بالدُّعاء والتوجُّه إليه، منع عنهم العذاب ومنتَّعهم إلى حين، وفي ذلك نزلت الآية: (فَلَا وَرَوْا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهُهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ).

وأشار الله سبحانه عن شفائه لأيوب (ع)، بعدما ابتلي بالمرض العضال، لما دعاه: (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِي الضُّرُّ وَأَنَا مِنَ الْوَالِدِينَ) (فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُضَجِّي الْمُؤْمِنِينَ).

وقد تحدَّث عن إنجاء يونس (ع) من بطن الحوت، عندما دعاه: (فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنِّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا أُشْرِكُ بِرَبِّي شَيْئًا زُجِّجْنَا مِنْ الضُّلَمِ وَأَنَا مِنَ الظَّالِمِينَ) * (فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُضَجِّي الْمُؤْمِنِينَ).

وهو ما حصل مع أصحاب رسول الله (ص) الذين لجأوا إلى الله، لما جاءهم الخبر أنَّ أبا سفيان قد أعدَّته لغزو المدينة، مستغلاًَّ النكسة التي حصلت للمسلمين في معركة أُحد، والجراح التي كانوا أصيبوا بها، فجاءهم التأييد الإلهي: (الَّذِينَ قَالُوا لَهْمُ النَّاسُ مِنَ النَّاسِ قَدْ

جَمَعُوا لَكُمْ ° فَآخِشُوا ° هُمْ ° فَزَادَهُمْ ° إِيمَانًا ° وَقَالُوا ° سُبُّنَا ° ° وَنِعْمَ °
الْوَكِيلُ * فَانزَلْنَا بِذُنُوبِهِمْ مَنَافِئًا ° وَفَضْلًا ° لِمَن ° يَمَسُّهُمُ ° سُوءٌ ° وَاتَّبَعُوا °
رِضْوَانَنَا ° ° وَالَّذِينَ ° ذُوقُوا ° فَضْلًا ° عَظِيمًا ° .

وهكذا جاء الإمداد الإلهي في معركة بدر: (إِذْ ° تَسْتَغِيثُونَ ° رَبَّكُمْ ° فَاسْتَجَابَ ° لَكُمْ °
أَنزِي مُمِدَّتُكُمْ ° بِأَلْفٍ ° مِنَ ° اللَّيْلِ ° مُرْدَفِينَ °) .

لذلك فلنتوجّه إلى الله سبحانه بقلوبنا وعقولنا، لنواجه ابتلاءات الحياة ومصاعبها وحوادثها وما
يجري فيها، ولنستخدم هذا السلاح الفعال المجرب، والذي هو سلاح الأنبياء، وهو سلاح كل مؤمن. فقد
ورد في الحديث الشريف: «الدعاء سلاح المؤمن»، «الدعاء ترس المؤمن»، و«لا يهلك مع الدعاء أحد».

ولكن يبقى علينا مسؤولية، أن نحقق شروط الدعاء في أنفسنا؛ بأن ندعو الله ونحن على ثقة به، وأن
القادر على تغيير حالنا.

ومن شروط استجابة الدعاء أن نعرف الله بصفاته، فقد سئل الإمام الصادق (ع): لماذا ندعو ولا يستجاب
لنا؟ قال: «لأنكم تدعون من لا تعرفونه». . أن تدعوه بلسان غير بذيء وبقلب نقي، فلا يقبل دعاء من
كان لسانه بذيئاً وسليطاً، ولا من كان قلبه غير صاف، وأن ندعو الله ونضع الأمور عنده، فهو أعلم
بالمصلحة.

وكل هذا بعد أن نقوم بمسؤوليتنا ولا نقصر فيها، فالله لا يقبل دعاء البطالين الكسولين المقصّرين،
الذي يريدون من الله أن يحقق لهم ما يريدون من دون أن يقوموا بواجبهم.

ولذا ورد في الحديث: «أربعة لا يستجاب لهم دعاء: رجل جالس في بيته يقول: يا ربّ ارزقني، فيقول
الله له: ألم أمرك بالطلب؟! ورجل كانت له امرأة فدعا عليها فيقول: ألم أجعل أمرها بيدك؟! ورجل كان
له مال فأفسده فيقول: يا ربّ ارزقني، فيقول له: ألم أمرك بالاقتصاد؟! ألم أمرك بالإصلاح؟! ... ورجل
كان له مال فأدانه بغير بينة، فيقول: ألم أمرك بالشهادة؟!».

إننا نعيش في مرحلة هي من أصعب المراحل المطلوب فيها أن لا نياس، فالمؤمن لا يمكن أن يياس بعد أن
فتح له الله باباً واسعاً إليه، علينا أن نطرقه بكل ثقة وإيمان، هو بأيدينا، فلنتوجّه إليه، ولنندع
من كل قلوبنا بعدما نقوم بدورنا، والله عند ظن عبده به.

ولنقل: اللّٰهُمَّ ألبسنا عافيتك، وجللنا عافيتك، وحصّنا بعافيتك، وتمدّق علينا بعافيتك،
واحرسنا عافيتك، ولا تفرّق بيننا وبين عافيتك في الدّنيا والآخرة.